العدد (٩) جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ / شباط ٢٠٢٠م

الموعود

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصيّة في الامام المهدي عجل

في هذا العدد:

- تمهيدنا: النص المهدوي - قراءات معاصرة
- مشروعية التقليد في زمن الغيبة الكبرى - إجابات علمية لشبهات المنكرين - الشيخ جاسم الوائلي
- أسس الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عجل وإمامته وآليّات مقاومة إنكاره - مرتضى علي الحلي
- المهدي المنتظر عجل حقيقة ثابتة شاء المرجفون أم أبوا - الشيخ خالد البغدادي
- جدلية إظهار ولادة الإمام الحجة عجل وإعلانها - د. عبير بدر عبد الستار
- تأسيس الغياب المهدوي وظهوره في ضوء الخطاب القرآني - م. د. محمد جعفر العارضي
- أقوال بعض الفرق في الغيبة والرد عليها - أحمد عبد الله حميد العلياوي
- أسلوب الاستفهام في دعاء الندبة - فائزة عبد الزهرة جامل السكيني
- قراءة في كتاب الغيبة للنعماني - محمد عبد المهدي سلمان الحلو
- المذهب التناسخي يعود بلباس الرجعة الروحية (الجزء الثاني) - الشيخ حميد الوائلي
- تحديات الغزو الثقافي لمجتمع (المنتظرين) في زمان الغيبة الكبرى

  أ.م.د. وسام حسين جاسم العبيدي
- أسباب غيبة الإمام المهدي عجل - الشيخ علي الفياض
- آليات الحجاج اللغوية في توقيعات الإمام المهدي عجل - الروابط الحجاجية مثالاً

  د.عبد الإله عبد الوهاب العرداوي

تأسيس الغياب المهدوي وظهوره في ضوء الخطاب القرآني
قراءة في الدلالة الرمزية

م. د. محمد جعفر العارضي

المقدِّمة:

لم أشأ في البحث أن أقف علىٰ الآيات القرآنية المباركة التي أشتهر أنَّها في قضية الإمام المهدي ﷺ، بل اخترت أن أقف علىٰ ما يمكن أن يكون مسكوتاً عنه في النظر إلىٰ هذه القضية بلحاظها القرآني من طريق الدلالة الإيحائية والرمزية؛ ذلك بأنَّ البحث ينصرف إلىٰ التعاطي مع توظيفات لسانية قرآنية مخصوصة في ضوء المعطيات الدلالية الرمزية التي أنتج النظر فيها مقولات مهدوية بلحاظ التأسيس والظهور، وينصرف أيضاً إلىٰ التعاطي مع ظواهر قرآنية خارجية؛ ليصل إلىٰ دمج دلالاتها الرمزية بالقضية المهدوية.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث المرتبطة بإضافته أدلَة قرآنية جديدة تصدق أن تكون في مصاف الدوالِّ اللسانية المؤكَّدة علىٰ حقيقة الوجود المهدوي غياباً وظهوراً.

وكانت الدوالُّ الرامزة التي يشتغل عليها البحث ذات ارتباط بالوحي مرَّة، وبالعناصر الكونية مرَّة أخرىٰ. وهذا ما قاد إلىٰ أن يقوم البحث في مقارباته المهدوية الرمزية علىٰ فقرتين هما: (فتور الوحي والتمهيد للغياب المهدوي

وظهوره) من خلال إشارات سورة الضحىٰ، و(أقسام سورة الشَّمْس المباركة والظهور المهدوي)، وفيها كلام علىٰ (الشَّمْس والنفس في ضوء ثنائية الغياب والظهور)، و(حركية الأقسام وتجلِّيات الظهور والعدل والهدىٰ). مع إشارة مركَّزة إلىٰ (الإمام المهدي عليه السلام وضرورة غيبته) فكان هذا في فقرة تمهيدية.

ولا يخفىٰ أنَّني اعتمدت في قراءة هاتين الفقرتين التحليليتين مجموعة من الرؤىٰ الرمزية التي تنفتح علىٰ القضية الكبرىٰ في الفكر الإنساني عامَّة، والفكر الإسلامي خاصَّة متمثِّلة بالاعتقاد بالمصلح الغائب الذي ينبغي أن يظهر يوماً؛ ليعمل علىٰ نشر الفضيلة والصلاح، معتمداً التحليل الدلالي الرمزي الذي يجنح نحو ضرورة تمثُّل الظهور المهدوي في النسق القرآني إن ظاهراً وإن رمزاً، من خلال استدعاء بعض عناصر الظاهرة القرآنية، وقراءتها في ضوء المعطيات المهدوية.

علىٰ أنَّني لست أغالي إذا ما قلت إنَّ القضية المهدوية أراها تمتزج بالمعطيات القرآنية كلِّها علىٰ نحو من الرمز. ومصداق هذا ما تجلَّىٰ في سورتي (الضُّحَىٰ) و(الشَّمس) المباركتين، ولاسيما ما يتَّصل برمزية (فتور الوحي)، ومنظومة القسم القرآني الكوني.

يظهر أنَّنا هنا أمام معالجة رمزية إيحائية تفتح الباب أمام التخييل، وظَّف لها سياق سورتي (الضُّحَىٰ) و(الشَّمس) المباركتين ظاهرة كونية مألوفة، ومجموعة من الإمكانات النصية التي تتمتع بخلق انفتاح النص علىٰ طائفة من الرؤىٰ والدلالات ذات المتطلبات الموضوعية والروحية؛ ما جعل حالة الانقطاع والإبطاء والغياب مألوفة، ومتَّسمة بالانفتاح والاستشراف، والتأسيس لواحدة من أهم عقائد الدين الإسلامي تلكم هي (الإمامة) إن حضوراً وإن غياباً. ونتكلم في ذلك ضمن النقاط التالية:

١ - ضرورة غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه وكمال التأييد:

الإمام المهدي محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولد في الخامس عشر من شعبان سنة (٢٥٥ هـ). وهذا الإمام عجل الله فرجه حقيقة تاريخية[١]، وضرورة يقتضيها التكامل الإنساني، وإظهار الدين.

وكانت للإمام عجل الله فرجه غيبتان احتجب فيهما عن الناس، غيبة صغرىٰ دامت (٦٩) سنة تقريباً، وغيبة كبرىٰ بدأت سنة (٣٢٩هـ)[٢] لازلنا نعيشها، وننتظر ظهوره عجل الله فرجه.

ولهاتين الغيبتين عواملهما وأسبابها الموضوعية المرتبطة بظروف الملاحقة ومحاولات الفتك التي كانت تعمل عليه السلطة آنذاك[٣]، فضلاً عن المقتضيات العقدية[٤] التي تستلزمها. ومما لا شكَّ فيه (أنَّ الغيبة بعامَّة تخطيط استراتيجي لتنفيذ قيام دولة العدل الإلهي المستقبلية، وتمهيد لتحقيق مشروع خلافة المستضعفين في الأرض، بجعل الله تعالىٰ لهم أئمة وجعلهم الوارثين)[٥]. وهذا مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

---

١. ينظر: الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، د. محمد حسين علي الصغير، ط١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٩، ص١٨.

٢. ينظر: الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص٤٣، ٨٥.

٣. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه، محمد السند، ط١، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه، مطبعة زيتون، النجف الأشرف ١٤٣١ هـ، ص٢٦-٣٣.

٤. ينظر: الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص٤١-٤٥.

٥. الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص٤١.

مع لحاظ أنَّ الخفاء والغيبة لا يتنافيان مع كمال حجِّية الإمام ﷺ فهما من السنن التاريخية ذات الارتباط بمسيرة الأنبياء والمصلحين[١]؛ ذلك بأنَّ الغيبة تأتي لتكون (خطَّة تدريجية لإحكام المشروع الإلهي في إقامة الدولة الكبرىٰ حتَّىٰ تمامية الشرائط بظهوره)[٢] بلحاظ أنَّها لا تتنافىٰ مع الوظائف الإصلاحية ومسؤولياتها ومهامِّها[٣] التغييرية؛ فلا ينبغي أن يخطر ببال أنَّها (انسحاب من ميدان العمل)[٤]، بل هي (تدبير وتكتيك من النشاط في السطح المعلن إلىٰ النشاط الخفي كي يفسح له المجال بشكل أرحب وأوسع ليمارس أداء دوره)[٥].

وهي من جهة أخرىٰ حالة من حالات الاستعداد لقيادة شاملة تتوخَّىٰ تغييراً كونيّاً عامّاً يكون الإنسان فيه أداة وهدفاً؛ إذ إنَّها بطبيعة الحال في مفهومها العام (مفهوم حضاري قرآني يستعرضه لنا القرآن الكريم في المصلحين الإلهيين والحجج الموعود ببعثهم لإنقاذ البشرية)[٦].

وغير بعيد عن هذا ما كان قد شهدته الساحة النبوية من تدبير وتنظيم من دون لحاظ الهوية؛ فإنَّ غير واحد من الأنبياء عليهم السلام قد مارس حضوراً فعليّاً مؤثِّراً في مجتمع ما مع غياب هويته النبوية، أو انسحابه النسبي عن واقع

---

١. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص١٩-٢٦.

٢. الإمام المهدي المنتظر ﷺ نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص٨٨.

٣. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص٨٣.

٤. الإمام المهدي المنتظر ﷺ نُصب عينيك كأنَّك تراه، ص٨٧.

٥. الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص٣٠٧-٣٠٨.

٦. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية - دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي ﷺ، ص٣٥.

الإدراك الحسي واعتزاله[1]؛ إذ إنَّ (ستار الخفاء يعطي كمال الحيوية وكمال الحرية في الحركة والنشاط والقيام بأتمِّ ما يمكن من المسؤولية)[2].

ومن ثَمَّ فإنَّ غيبة الإمام عجل الله فرجه تمثِّل ضرباً من (التدبير الإلهي الذي يوصله درجة فدرجة إلىٰ منصَّة الظهور)[3] فالشهود، وعلىٰ هذا أنَّ الإمام عجل الله فرجه ينعقد بينه وبين الأنبياء عليهم السلام شبه كبير في بلورة الفكر الإنساني في طريق التغيير[4] والإصلاح؛ ليكون ذلك في نسق من متطلبات تنفيذ البرامج الإلهية متصل.

ومن الضرورة بمكان تأكيد أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه ليس فكرة مجرَّدة، أو أملاً يداعب المشاعر المسلمة، فيستريح عنده المسلمون من حالات توتُّرهم النفسي عندما تتكالب عليهم المحن، بل المهدي عجل الله فرجه إنسان حي يعيش مع الناس ويشهد همومهم وآلامهم، ويترقَّب مثلهم اليوم الموعود. غير أنَّ حركة التاريخ ومتطلبات التغيير الحضاري الشامل هي ما دعت إلىٰ أن يكون غائباً ذا عمر طويل؛ ذلك بأنَّ هذا العمر المتمادي، والانتظار الطويل يتطلَّبه الدور التاريخي الفريد الذي ينتظر هذا الإمام، فينبغي أن يكون مسلَّحاً بشعوره النفسي الكبير، متوغِّلاً في التاريخ كي تتيسَّر له فرصة هذا التغيير الحضاري الشامل، وتصغر أمامه الكيانات والحضارات[5]؛ فينطلق لتأسيس حضارة قوامها العدل والتكافل الإنساني.

---

١. ينظر: الإمام المهدي والظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ص٤٣-٨٢، ٣٠٧.

٢. الإمام المهدي والظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ص٤٥.

٣. الإمام المهدي والظواهر القرآنية – دراسة تستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ من خلال الرؤية القرآنية وتقارنها مع حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ص٧٤.

٤. ينظر: حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم – دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١، دار جواد الأئمَّة، بيروت ٢٠٠٨، ص١٧.

٥. ينظر: بحوث في الإمام المهدي، محمد باقر الصدر، تحقيق: د. عبد الجبَّار شرارة، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم ١٩٩٦، ص٣٦ – ٣٩، ٥٩ – ٨٧.

أمَّا ظهوره فحتمية عقلية، فضلاً عن أنَّه ضرورة فلسفية؛ ذلك بأنَّه ممثِّل الفيض الإلهي الذي لا ينبغي أن ينقطع أو يتخلَّف عن عالم الإنسان، ولاسيما ما يتَّصل بانتشاله من الضلالة إلىٰ الهدىٰ[1]. ومن جهة أخرىٰ تمثِّل قضية غيبة الإمام المهدي عليه السلام مردوداً إيجابيّاً يتجسَّد في تأكيدها عدم مرغوبية الظلم، وضرورة الاستعداد وامتلاك المقومات لمكافحته، فضلاً عن أنَّ القضية المهدوية تعمل علىٰ إنتاج الشدِّ إلىٰ فكرة العدل والاستقامة، ووجوب تحقُّقهما علىٰ الأرض[2].

٢- فتور الوحي والغياب المهدوي وظهوره:

تتضمَّن سورة (الضُّحَىٰ) المباركة إشارة إلىٰ (فتور الوحي)، وتتضمَّن أيضاً الدلالة الرمزية علىٰ مظاهر التكيُّف النبوي مع هذه الفترة من خلال توظيف عناصر الكون في المنظومة القسمية التي تحفل بها هذه السورة[3]؛ لإنتاج غرضها العالمي إنتاجاً رمزيّاً مكثَفاً.

يُروىٰ أنَّ الوحي القرآني قد انقطع عنه صلى الله عليه وآله بعد نزول أوائل سورة (العلق) المباركة فترة من الزمن، ما كان منه صلى الله عليه وآله غير أن يلازمه في هذه الفترة حزن شديد[4]. وكانت سورة (الضُّحَىٰ) المباركة هي ما نزل به الروح الأمين بعد ذلك[5].

---

١. ينظر: حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم - دراسة وتحليل، ص١٤-١٥.

٢. ينظر: روائع محاضرات الوائلي، مركز الإمام الحسن للتحقيق والدراسات، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت ٢٠٠٨، ص٦٦.

٣. ينظر: التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقاربة سياقية في سورة الضحىٰ المباركة، د. محمد جعفر العارضي، ضمن كتاب نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، تحرير: د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، د. عرفات فيصل المنَّاع، سلسلة لأن، ط1، مؤسسة السياق للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن ٢٠١٥، ص٢١٦-٢٢٢.

٤. ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣ هـ، ص٢٠/ ٢٥١.

٥. ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص٤/ ٢٦٣.

ومن اللازم أن أذكر أنَّ هذا الانقطاع يصح أن يقوم دليلاً علىٰ إلهية الخطاب القرآني؛ فيكون من الردود[1] الواقعية[2] علىٰ مقولات بشرية الظاهرة القرآنية[3]؛ ذلك بأنَّ هذا الوحي لو كان من نفسه ﷺ، أو علَّمه إياه أحد لما انقطع عنه وهو يريده ويعيش حالة الألم لفراقه والشوق إليه[4].

تعالج هذه السورة المباركة ظاهرة (فتور الوحي) بتوظيف القسم، واللفت إلىٰ الظاهرة الطبيعية الكونية المتمثِّلة بتعاقب الليل والنهار، وانتظام حركتهما، وتواليهما من دون أن يُحدث هذا اضطراباً في النظام الكوني، واختلالاً في حركته من جهة، والحياة الإنسانية المرتبطة بهذا النظام من جهة ثانية، إذ تحرص السورة المباركة حرصاً شديداً علىٰ إخبار الرسول الأكرم ﷺ أنَّ ما يحدث من (فترة الوحي) ورجوعه يمثِّلان ظاهرة طبيعية[5] أيضاً، ينبغي التعاطي معها علىٰ نحو من الاطمئنان كبير[6]. يقول تعالىٰ: ﴿والضُّحَىٰ ۝١ واللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ (الضحىٰ: ١-٣).

وهنا (يُقسم الله سبحانه بهذين الآنين الرائقين الموحيين، فيربط بين ظواهر

١. هنالك ردود متنوعة يذكرها الدارسون. ينظر: علوم القرآن - دروس منهجية، رياض الحكيم، ط ٢، دار الهلال، النجف الأشرف ٢٠٠٤، ص٧٩-٩٥.

٢. ينظر: التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقاربة سياقية في سورة الضحىٰ المباركة، (بحث)، ص٢١٥.

٣. هذه من شبهات المستشرقين التي تصدَّىٰ العلماء لردِّها. ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ط١، مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف ٢٠٠٥، ص١٧٦-١٩٠.

٤. ينظر: من هدىٰ القرآن، محمد تقي المدرسي، ط ٢، مكتبة العلَّامة محمد تقي المدرِّسي، ص١٨/ ١٦٨، الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط ٣، دار الفكر، بيروت ١٩٦٨، ص١٤٧.

٥. ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، ط ٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩. ص١/ ٢٠.

٦. ينظر: التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقاربة سياقية في سورة الضحىٰ المباركة، (بحث)، ص٢١٧.

الكـون ومشـاعر النفـس. ويوحـي إلىٰ القلـب البـشري بالحيـاة الشـاعرة المتجاوبـة مـع هـذا الوجـود الجميـل الحـي، المتعاطـف مـع كل حـي)[1]؛ لتتأكَّـد الدلالـة في هـذا السـياق الحـاني عـلىٰ (أنَّ الرسـول ﷺ عزيـز مكـرم عنـد ربِّـه لا يهملـه ولا يجفـوه، وأنَّ صَيِّـب تكريـم الله مـا يـزال يتـوالىٰ فيضـه فيرتقـي بـه في درجـات القـرب ويـوالي عليـه نعمتـه حتَّـىٰ يحصـل لـه الرضـا)[2].

ومـن الملاحـظ أنَّـه (تظهـر الموافقـة الدلاليـة والإيحائيـة التعبيريـة أوّلاً في هـذا القسـم بـين المُقسَـم بـه (الضُّحَـىٰ)، و﴿اللَّيْـلِ إِذَا سَـجَىٰ﴾ والمُقسَـم عليـه ﴿مَـا وَدَّعَـكَ رَبُّـكَ وَمَـا قَـلَىٰ﴾؛ فتخلـق السـورة المباركـة بهـذه الموافقـة ترابطـاً حسيّـاً بـين القسـم وجوابـه)[3]؛ لغـرض خلـق حالـة مـن حـالات خطـاب الـذات بـما يبعـث عـلىٰ التأمُّـل، وإعـادة إنتـاج هـذه الظاهـرة الكونيـة فكريّـاً، بـما ينسـجم مـع أدوات التحـوُّل الحيـاتي المسـتشرِف لمـا يـأتي مـن مراحـل المسـيرة الرسـالية.

معنـىٰ هـذا أنَّنـا أمـام دعـوة للـذات لاسـتلهام مـا يمكـن اسـتلهامه مـن الدمـج بـين (فتـور الوحـي) والظاهـرة الطبيعيـة التعاقبيـة مـن جهة، والاسـتعداد لاسـتدعاء هـذا الدمـج التطمينـي وقـراءة مـا سـيحدث مسـتقبلاً في ضوئـه مـن جهـة ثانيـة.

يظهـر أنَّ القسـم في سـورة (الضُّحـىٰ) المباركـة يـأتي ليُمثِّـل منظومـة متماسـكة تكـون مصداقـاً وميدانـاً لملاحظـة عنـاصر الحـوار المتفاعـل بـين السـماء والأرض، من خـلال صياغـة الخاصَّـة القرآنيـة في هـذا السـياق عـلىٰ نحـو متفـرِّد يحقـق معطيـات حـدث (فتـور الوحـي) والأثـر المبتغـىٰ مـن توظيفـه توظيفـاً سـياقيّاً قرآنيّـاً ينفتـح عـلىٰ مظاهـر حياتيـة وفكريـة متنوعـة.

---

١. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١١، دار الشروق، بيروت، ص٨/ ٥٦.

٢. القسم في اللغة وفي القرآن، محمد المختار السَّلامي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩، ص٩٥.

٣. التفاعليـة المعارفيـة بـين مهيمنـة فـترة الوحـي والسـيرة النبويـة – مقاربـة سـياقية في سـورة الضحـىٰ المباركـة، (بحـث)، ص٢١٧.

ومن أهمِّ هذه المظاهر في هذا السياق مسألة انفتاح ذلك على امتداد الخطِّ النبوي، ولفت الانتباه إلى أنَّ هذا الامتداد قد يكون مألوفاً ظاهراً، وقد يتجلَّى في حالة الغياب من خلال آثاره الوجدانية والعقائدية بلحاظ انتظار الخلاص به، وما يخلقه غيابه من حالة التفاؤل بضرورة تحقق الإصلاح. ويكون ذلك على نحو من البشرى، وتأكيد الانتفاع من الغياب[1]، وتأثير ذلك في الإشارة إلى استقرار الحياة بلحاظ دمج ثنائية القسم النهاري بالليلي[2].

ويمكن النظر في انقطاع الوحي أو غيابه المرحلي على أساس أنَّه تمهيد لانتظار غياب آخر يكون في مستقبل الأيام، أو توقُّع غياب مرحلي أيضاً يدخل في صلب تركيب العملية الرسالية والعقدية. بمعنى أنَّ هذا الانقطاع يؤسِّس لحالة كبرى ومهمَّة، ويريد أن يؤكِّد قضية مفادها أنَّ الغياب بوصفه ظاهرة سيكون مظهراً أصيلاً ورئيساً من مظاهر العقيدة ومسيرة التغيير والإصلاح. مع لحاظ أنَّ الغياب بحد ذاته (يحقق حالة من المران والتفكُّر)[3]، والرغبة في كنه أسرار الغياب فضلاً عن الغائب، ناهيك عن أنَّه يستلزم انتظاراً بما يشبه المشاركة في إنتاج الظهور على نحو الاعتقاد به مرَّة، والترويج والتمهيد له مرَّة أخرى.

تظلُّ في هذا السياق إشارة (الضُّحَى) إلى رسالة النبي الخاتم ﷺ تأتي بلحاظ مضامينها الإنسانية الخالدة التي هي مضامين تتناغم مع المعطيات الحياتية. أمَّا ما يتصل بمفهوم (اللَّيْل) فهو ظرف موحش عندما يدلُّ على

---

١. ينظر: التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، (بحث)، ص٢٢٣.

٢. ينظر: الأقسام في القرآن الكريم – دراسة منبسطة حول الأقسام الواردة في الكتاب العزيز، جعفر السبحاني، ط١، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران ١٤٢٠ ه، ص١٧٦.

٣. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية – مقاربة سياقية في سورة الضحى المباركة، (بحث)، ص٢١٧.

انقطاع مصدر الهدىٰ، ومظهره الأرضي من جهة، وقد يدلُّ علىٰ ابتعاد البشرية من مسلمين، وغير مسلمين عن روح الهدي النبوي، وجوهر الدين الإلهي الحق، وانشغالهم بفهم بشري للدين قد يكون مشوَّهاً من جهة أخرىٰ. ومن الضروري تأكيد أنَّ هذه الإشارة هي ما يتناسب مع معطيات التحليل الدلالي الموسَّع من جهة، ومع تقنيات التوظيف القرآني الساعي إلىٰ خلق أجواء من الثراء الدلالي المرتبط بمعطيات التوسع الفكري، الذي ينظر في العملية اللغوية بلحاظ تداولي لا ينفصل عن الحدث المجتمعي، وإنتاجه بما يحقق تمهيداً لسانيّاً مطلوباً لقضية الإسلام الكبرىٰ، تتكفَّل به اللسانية القرآنية في أطوارها الأولىٰ من جهة أخرىٰ.

ولمَّا وظَّف - النص - العناصر الطبيعية السماوية للدلالة علىٰ المعادل الأرضي فإنه يشير إلىٰ الانتقال من الحالة الفردية إلىٰ الحالة الجماعية ذات الأفق العالمي؛ إذ تظهر (آفاق التفاعل مع الآخر الإنساني علىٰ نحو حياتي. من دون أن يغيب تفاعلها الكوني، وأثرها في إنتاج التكامل الإنساني)[1].

من هنا ألحظ القضية الكبرىٰ التي أحسب أنَّها الهدف المغزوي المستقبلي الذي أرادته سورة (الضُّحىٰ) المباركة متمثِّلاً بغياب ممثِّل الفكر النبوي؛ فوظَّفت له الحدث الآني متمثِّلاً بانقطاع الوحي عن الرسول الأكرم ﷺ. وكان ذلك ضرباً من تحضير النفوس لمثل هذا الغياب وصولاً إلىٰ الإيمان به والتمهيد لظهوره، علىٰ مستوىٰ المستقبل البشري، في السعي إلىٰ التغيير من خلال ظهور ما كان غائباً ليمارس قيادته وفعله الحياتي المؤثِّر علىٰ نحو علني ومباشر.

ومن جهة أخرىٰ -وهي علىٰ غاية كبرىٰ من الأهمية- فإن هذا يكون توثيقاً قرآنيّاً لحدث بحجم حدث الغياب المهدوي وظهوره. ولأنَّه ضرورة من

١. التفاعلية المعارفية بين مهيمنة فترة الوحي والسيرة النبوية - مقاربة سياقية في سورة الضحىٰ المباركة، (بحث)، ص٢٢٢.

ضرورات الدين قرنه الخطاب القرآني رمزاً بالوحي وفتوره في أوائل الدعوة إلىٰ الدين؛ ليضمن الإشارة العقدية الكبرىٰ إلىٰ ارتباط الدين به بلحاظه المستقبلي، وليحرص من خلال هذه الإشارة علىٰ ضرورة مداومة النظر العقلي في آيات الخطاب القرآني لتوخِّي الدلالة الرمزية علىٰ القضية المهدوية هنا أو هناك.

٣- أقسام سورة (الشَّمْس) والظهور المهدوي:

يشغل القسم القرآني السورة المباركة ليتضمَّن مجموعة من الإشارات والرموز؛ إذ يمثِّل القسم في سياق هذه السورة المباركة نسقاً دلاليّاً مكثَّفاً ومتراكباً. واللافت أنَّ سورة (الشَّمْس) المباركة قد امتلأت بالقسم، وهيمن علىٰ نسقها. يقول تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها ۝١ وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها ۝٢ وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها ۝٤ وَالسَّماءِ وَما بَناها ۝٥ وَالْأَرْضِ وَما طَحاها ۝٦ وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ۝٧ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ۝٨﴾ (الشمس: ١-٨).

ولعلَّ إقامة مقاربة رمزية بين أجواء السورة وأقسامها من جهة، والظهور المهدوي ومعطياته من جهة ثانية يمكن العمل عليها من خلال قراءة العلاقة الرمزية التضافرية بين (الشَّمْس) و(النَّفْس) في سياق السورة المباركة، وقراءة الحشد الفعلي الحركي في أقسامها، وذلك من خلال التالي:

أ- الشمس والنفس وثنائية الظهور والغياب:

يأتي الاقتران بين الشمس والنفس في موضع واحد في الخطاب القرآني، ذاك هو ما كان من توظيفهما في سياق سورة (الشَّمْس) المباركة. ويظهر واضحاً أنَّ القسم في هذا السياق كان بعناصر بصرية؛ ما يخلق صورة حركية ذهنية محسوسة. مع لحاظ أنَّ السياق يتحوَّل بهذه العناصر الطبيعية إلىٰ عناصر معنوية. بمعنىٰ أنَّ القسم يكسبها بعداً روحيّاً، ويجعل منها قابلة للترميز والإيحاء.

يبدو أنَّ القسم بهذه العناصر بلحاظ وجودها الكوني النظامي. وبلحاظ إحالتها إلىٰ الفعاليات الحياتية التي تتضمَّنها يأتي ليمثِّل تمهيداً للقسم بالنفس

من جهة، واستشهاراً لمهمَّة عبادية[1] من جهة ثانية. والمقسِم بها عارف بها وبأسرارها محيط بدقائق أمورها؛ فهو خالقها من جهة، وهي دالَّة على أنَّ مصدر هذا الكلام وهذه المعرفة ليس بشريّاً، وهذا إعجاز ودعوة إلىٰ التوحيد والإيمان.

تتوزَّع السورة المباركة وهي سورة قَسَميَّة على قصرها بين عناصر الضياء والظلمة المادية والمعنوية. وتنتظم في علاقات حميمية أو تسببية مع مضمون القسم في صدر السورة المباركة.

إنَّ هذه النَّفْس يريدها الخطاب القرآني أن تكون شمساً تُضيء مسيرة الحياة الإنسانية، تتمثَّل فيها قيم الصلاح والإصلاح والعلم والتسامح والأمل والنظام والعدل، فالشَّمْس في حركتها عادلة منتظمة. وهذه الشَّمْس يريدها الخطاب القرآني للعالم، وهذه النَفْس للعالم أيضاً؛ ما يعني أنَّ الأرض بلحاظ المغزىٰ لا يمكن أن تخلو من ممثِّل السماء فيها، حيث المصلح الذي يتمثَّل جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية؛ فتكون هذه السورة المباركة من السور التي تتكلَّم علىٰ قضية الإسلام الكبرىٰ التي تتمثَّل في نشر العدل، والإصلاح، وإزاحة الجور، والظلم العالمي، وإحلال العدل العالمي الذي ينهل من العدل الإلهي. وهذا يقارب ما تعمل عليه الشمس في نشرها الضياء.

من هنا يظهر أنَّ هذه السورة المباركة ترمز -من بين ما ترمز إليه- إلىٰ تلكم القضية الكبرىٰ، ورسم ملامح الشخصية التي تنهض بأعباء التغيير وإقام العدل.

نحن أمام عناصر ضياء سماوية وعناصر ظلمة أرضية، فيريد الخطاب القرآني أن يبدِّد الظلمة الأرضية، ويستبدل بها نوراً سماويّاً إلهيّاً تشرق الأرض كلُّها بنوره وتزدهر الحياة.

١. ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط١، مجمَّع البحوث الإسلامية، مشهد ١٤٢٤هـ، ص٥/ ٣٥٢.

واللافت أنَّ العناصر الضيائية النورية تتخذ من الشَّمْس مركزاً لها تستمدُّ منه ضياءها. وكأنَّ هذا يشير إلىٰ أنَّنا نتطلَّع إلىٰ شخصية (شمسية) منقذة تختزل -ويجب أن يكون تطلُّعنا لمثل هذه الشخصية حسب- فيها كلُّ رغبات الإصلاح والتغيير، شخصية مركزية في مسيرة حياة الإنسانية علىٰ هذه الأرض التي بدأت مشرقة بالإنسان وأضحت مظلمة به، وستعود به مشرقة إشراقة تؤهِّلها للإشراق الأخروي.

الشمس والأرض والإنسان هذا المثلَّث المعارفي المتصل المنفصل. هذا المثلَّث الطيفي الذي هو في حقيقته مؤلَّف من أجزاء متقابلة مفارقة لكنَّها متحدة متسقة متناسقة الأدوار والمراحل. تظهر الأرض وهي تتوق إلىٰ الشمس، والأرض تتوق إلىٰ الإنسان (النَّفْس).

والحياة التي يسعىٰ إلىٰ إنتاجها الخطاب القرآني حياة تفيض إشعاعا وهدىٰ ورحمة ونفعاً؛ فيتحوَّل الإنسان إلىٰ مصدر إشعاع فكري في الحياة والحبِّ والشجاعة والوفاء والتضحية، وتتحوَّل إلىٰ محطَّة وحدة تتوحَّد عندها الإنسانية.

تتضمَّن السورة المباركة مشروع الصلاح والإصلاح وتقدِّم أدواته الفكرية؛ إذ تهيأت النفس لتكون جزءاً من مشروع السماء في الأرض، ولتكون أداة من أدوات تحقيق هذا المشروع النهضوي الإنساني العامِّ بعد أن تمثَّل الإنسان مشروع النهضة الخاصَّة، فنهض بذاته وهذَّبها ودرَّبها وزهَّدها بمجموع الممارسات الروحية والرياضات الأخلاقية، وتلقِّي العلم النافع، وجعل العقل يتولَّىٰ الزمام؛ فصار مؤهَّلاً أن يقوم مقام الأمَّة فيستخلص همومها وعذاباتها فيصلح واقعها بفعله اليومي، وفعله الفكري، وفعله الموقفي المفصلي الذي تفرضه اعتبارات المرحلة، وما يصطكُّ فيها من صراعات ونزعات تروم الجنوح عن الجادَّة أو جنحت فعلاً.

ومن الإشارة أنَّ السياق القرآني في هذه السورة المباركة (أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي)[1] من جهة، وجاء أيضاً القسم من جهة ثانية (بما هو آلة التفكُّر في ذلك وهو النفس)[2] بلحاظ وجودها العبادي[3]. ولعلَّ الفحوىٰ في الجمع بين هذين القسمين تتمثَّل في (لفت الانتباه إلىٰ الظاهرة الكونية التي تجسِّد معنىٰ الإنسان ودلالة وجوده في الحياة، متمثِّلة في كونه يمارس تجربة العمل العبادي في وجوده ضمن الظاهرة الكونية، وهذه التجربة هي كونه يحمل نفساً أو قلباً أو عقلاً أو دوافع ذات قابلية علىٰ تمييز الحقائق)[4]؛ فتظهر الدلالة الكبرىٰ في هذا السياق علىٰ (تحديد مسؤوليتنا حيال الوجود)[5].

وعلىٰ الرغم من أنَّ النَّفْس في هذا السياق هي النفس التي (أنشأها وأبدعها مستعدَّة لكمالاتها)[6]، فإنَّ ذلك لا يمنع من أن تكون ذات إيحاء بنشرها الكمالات، وتبنِّيها لمشروع الصلاح والإصلح. ولا سيما أنَّ الله تعالىٰ قد خصَّها بالقسم هنا. وهي تحتمل أن تكون (إشارة إلىٰ نفس معينة ذات أهمية)[7].

وتأتي هنا مسألة كبرىٰ هي أنَّ القسم في السياق القرآني يتحوَّل إلىٰ مظهر من مظاهر الدعوة إلىٰ التوحيد وتكريس هذا في النَّفْس الإنسانية من خلال عرض مكنونات العالمين العلوي والسفلي والحثِّ علىٰ التفكُّر فيهما وصولاً إلىٰ

---

١. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطابع النهضة الحديثة، المملكة العربية السعودية، ص٨/ ٤٧٨.

٢. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.

٣. ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص٥/ ٣٥٢.

٤. التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص٥/ ٣٥١.

٥. التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص٥/ ٣٥٢.

٦. تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص٦/ ٤٣٣.

٧. منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، محمد الصدر، تحقيق: مؤسَّسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر، ط١، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، بيروت ٢٠١٢، ص٢/ ١٥٦.

الخالق العظيم لهذه العوالم فالوصول إلىٰ التوحيد[١].

ولعلَّ القسم هنا جاء للدلالة علىٰ كثرة الانتفاع بالمقسم به[٢]، والشَّمْس هنا هي التي تجلِّي الظلمة[٣]. مع لحاظ (أنَّه أقسم بالنهار في أكمل حالاته)[٤]. والليل هو الذي يغشىٰ الشَّمْس[٥]. ومن جهة أخرىٰ يظهر (أنَّ الظواهر الكونية المذكورة تجسِّد الحياة بكل معطياتها المادية والجمالية التي يتمُّ تكيُّف الإنسان من خلالها)[٦].

ومن الملاحظ أنَّ القسم بالشَّمْس بحد ذاته مثَّل التفاعل الحياتي وحالة التغيير المصاحبة لهذا التفاعل، إذ جاءت (هذه الأقسام بالشَّمْس في الحقيقة بحسب أوصاف أربعة ضوؤها عند ارتفاع النهار وقت انتشار الحيوان وطلب المعاش وتلو القمر لها بأخذه الضوء وتكامل طلوعها وبروزها وغيبوبتها بمجيء الليل)[٧]. مع إمكان دلالة (الشَّمْس) و(القَمَر) دلالة ذات انتشار معنوي كبير؛ ذلك بأنَّ لهذين المفهومين مجموعة من المصاديق التي إن لحظ مشروعها المعنوي[٨]، فإنه يفتح الباب واسعاً أمام مقولة: إنَّ الآفاق المعنوية منظورة هنا، ولا سيما مظاهر الإصلاح والتغيير، وما يكتنفهما من معطيات وأدوات ظاهرة وباطنة.

---

١. ينظر: مفاهيم القرآن – دراسة الأمثال والأقسام في القرآن الكريم، جعفر سبحاني، ط٣، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران ١٤٢٥ هـ، ص٩/ ٤٥٠.

٢. ينظر: التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد قصير العاملي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤٠٩هـ، ص١٠/ ٣٥٦.

٣. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.

٤. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.

٥. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.

٦. التفسير البنائي للقرآن الكريم، ص٥/ ٣٥٠-٣٥١.

٧. البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.

٨. ينظر: منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، ص٢/ ١٤٥-١٤٦.

والتعاطي الرمزي مع (الشَّمْس) و(القَمَر) في سياق السورة المباركة قد وصل بهما إلىٰ الدلالة علىٰ ثنائية المعلِّم والتلميذ، وما يدور بينهما من فعل تعلُّم الحقيقة[1]. وهذا من مظاهر الانتشار المعنوي التي يمكن أن تكوِّن مقاربة إصلاحية توعوية ذات أسس رمزية كبرىٰ. غير أنَّها من المنظور الدلالي الذي لا يُعدم في لسانية الخطاب القرآني. ومن هنا تأتي قراءة آفاق التلازم الرمزي بين مظاهر الدلالة في السورة بوصفها الكلِّي ومهامِّ الإمام المهدي عليه السلام في نشر العلم والخير والعدل.

ومثلما ظهر في سورة (الضُّحَىٰ) المباركة التحوُّل بعنصر الظلام إلىٰ عنصر ضياء جاءت سورة (الشَّمْس) المباركة لتجعل من عناصر النور تشتغل لتضيء عنصراً واحداً هو الإنسان (النَّفْس). واللافت أنَّ عناصر الظلام هنا أقل فاعلية وأثراً. والجليل أنَّها تمثَّلت في عنصرٍ واحدٍ (اللَّيل) في حين تعدَّدت وتنوَّعت عناصر الضياء.

يظهر أنَّ مظاهر الإصلاح كلَّها تسعىٰ إلىٰ إصلاح النفس الإنسانية وتهذيبها؛ فعلىٰ الإنسان أن يستجيب لإرادة هذه المظاهر التي تملأ عليه الآفاق، ويعيش هو بسببٍ منها، هذا من جهة. وتمثِّل هذه العناصر مخلوقات بديعة تدعو الإنسان إلىٰ أن ينظر فيها نظر متفكِّر متأمِّل سائل من جهة أخرىٰ؛ وصولاً إلىٰ أنَّها لا تصدر إلَّا من خالق مبدع؛ ولمَّا كانت متسقة متكاملة الجمال والجلال فهي تصدر من خالق مبدع واحد.

و(الأَرْض) في سياق القسم تشير بلحاظ معنوي إلىٰ العقل والنَّفْس[2]، ولا ينفكُّ اتصالها بلحاظ مادي بالشَّمْس، ولا يمكن أن يخطر ببال أحد أنَّها تستغني عنها؛ فتأتي إشارة النص إلىٰ أنَّ الإنسان لا يمكن له أن يحيىٰ بعيداً

١. ينظر: منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، ص٢/ ١٤٦-١٤٧.

٢. ينظر: منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، ص٢/ ١٥٥.

عـن الله تعـالىٰ، بعيـداً عـن العـدل، والحـقِّ، والتفكُّـر في ظهورهمـا وآليـات انتظـار تحقُّقهـما في عـالم الإنسـان. وفي ملمـح اجتماعـي إشـاري لا يمكـن لـه أن يحيـىٰ بعيـداً عـن أخيـه الإنسـان، فـكلٌّ يحتـاج إلىٰ الآخـر، مثلـما هـي عنـاصر الكـون تنتظـم في منظومـة متكاملـة، فعـلىٰ الإنسـان أن يتعلَّـم منهـا درسـاً تنظيميّـاً إداريّـاً يتمثَّـل في تكاملـه مـع الآخريـن، وتعاونـه بعيـداً عـن الإقصـاء، والإلغـاء.

ويمكـن أن يقـال في هـذا السـياق: إنَّ الضيـاء يثـور عـلىٰ الظـلام فكريّـاً وماديّـاً. ويظهـر الرمـز مـن خـلال مقاربـة ذلـك إلىٰ بنـاء الإنسـان؛ فهـذا البنـاء المـادي يهـدف إلىٰ وضـع نمـوذج للبنـاء الروحـي مـن طريـق إشـارته إلىٰ أنَّ النفـس عليهـا أن تتمثَّـل في البنـاء المحيـط وتكتشـف خفاياه وتنتفـع بـه.

السـورة المباركـة تتكلَّـم بلحـاظ وحيهـا الـدلالي عـلىٰ الـذات التـي تصنـع المجـد والتاريـخ والنفـع للعبـاد والبـلاد، وتجعـل ذلـك متاحـاً يوميّـاً، فهـي لا تقتـصر في خطابهـا عـلىٰ إنسـان يصنـع التأريـخ صنعـاً مرحليّـاً، بـل تشـير إلىٰ إنسـان يصنـع التاريـخ بفعلـه اليومـي المعايـش كـما تفعـل الشَّـمْس فهـي فاعلـة في الحيـاة يوميّـاً. وهـذا مـا يسـتلزم إنسـاناً يتـمادّ عمـره، ويعيـش الحيـاة عـلىٰ نحـو مـن الغيـاب يناسـب هـذا التـمادي والطـول وإن لم يكـن يسـتلزمه، والتطلُّـع إلىٰ الظهـور في كلِّ آن. مـا يعنـي أنَّـه في مسـيرة حيـاة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه (كانـت السريـة هـي غطـاء لتأمـين أداء دوره الفاعـل وتأثـيره)[1] في إدارة الحيـاة وإنتاجهـا عـلىٰ نحـو جديـد.

ب- حركية الأقسام وتجلِّيات الظهور والعدل:

يقـود النظـر في أقسـام سـورة (الشَّـمْس) المباركـة إلىٰ أنَّهـا أقسـام ذات خصائـص أسـلوبية دلاليـة حركيـة بامتيـاز. بمعنـىٰ أنَّهـا جـاءت متلازمـة مـع منظومـة فعليـة

١. الإمـام المهـدي والظواهـر القرآنيـة - دراسـة تسـتعرض الحـركات الإصلاحيـة عـبر التاريـخ مـن خـلال الرؤيـة القرآنيـة وتقارنهـا مـع حركـة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه، ص٤٥.

تتكامل وتتضافر في إنتاج المعنىٰ علىٰ المستوىٰ العرفي والمستوىٰ الرمزي. وما كان اسماً مقسماً به فقد استعمل والحركة ملحوظة فيه.

﴿والشَّمْسِ وضُحَاهَا﴾: ينظر القسم هنا إلىٰ الشمس بلحاظ حركتها؛ ذلك بأنَّه يلفت إلىٰ وقت من أوقاتها المعهودة. مع لحاظ إشارة هذا الوقت إشارة رمزية إلىٰ الهداية والرحمة[١] والعدل.

﴿والقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾: في هذا المقطع من القسم يشير الخطاب القرآني إلىٰ تلوِّ القمر للشمس، في حركة دائبة منتظمة. ولعلَّه يريد المرتبة (في الاستدارة وكمال النور)[٢]. ولا تُعدم الإشارة في هذه الحركة؛ ذلك بأنَّها تشير رمزاً إلىٰ التعليم[٣]، والهداية أيضاً. وهذه الإشارة الدلالية مرتبطة بطبيعة الحال بما للقمر من إشارة معنوية مرَّ ذكرها.

﴿والنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾: العلاقة بين النهار والشمس علاقة ظاهرة. غير أنَّ تجلية النهار للشمس تبعث علىٰ التأمُّل الذي يملك القياد الموصل إلىٰ أنَّ التجلية للأرض[٤] رمزاً إلىٰ مقولات معنوية كالجهالة، والذنوب[٥]، وانقطاع الأمل؛ فيكون الرمز بضرورة الانتظار وحتمية الظهور لمن يجلِّي هذه الظلامات وينشر العدل والنور.

﴿واللَّيلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: تتصاعد الدلالة الرمزية في استعمال ﴿يَغْشَاهَا﴾؛ لتصل إلىٰ الدلالة علىٰ (غشيان الفجور الأرض)[٦]؛ فيرتبط هذا بما يزيله في

١. ينظر: منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، ص٢/ ٦٩، ١٤٥.

٢. تفسير أبي السعود، ص٦/ ٤٣٣.

٣. ينظر: منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، ص٢/ ١٤٧.

٤. ينظر: تفسير أبي السعود، ص٦/ ٤٣٣.

٥. ينظر: منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن، ص٢/ ١٤٧.

٦. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ١٩٩٧، ص٢٠/ ٢٩٧.

آخر الزمان على نحو من التبشير التمهيدي في ضوء ارتباطه بآيتي ﴿والنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، و﴿والأَرْضِ ومَا طَحَاهَا﴾ ذات الدلالة رمزاً على بسط الخير والعدل.

ولعلَّ من مظاهر الحركية في هذه المنظومة القسمية الكبرىٰ أنَّها مرتبطة في سياقها بالدلالة على (أنَّ العمل الصالح ومجاهدة النفس كي لا تسترسل مع هواها، هو طريق السلامة والنجاة، وأنَّ الارتخاء إلىٰ الشهوة، والأَثَرة، والعناد، هو طريق الشقاء)[1].

وهذه التجليات الحركية الهادية العادلة الرحومة بمجملها هي تجليات كبرىٰ يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه من أكبر مصاديقها وأعلاها؛ فهو يعيش حركة عمر مستمر يواكب فيه أحداث الحياة، وينتظر أن يفعل فعله الإصلاحي الكبير.

١. القسم في اللغة وفي القرآن، ص٩٨.